ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Resea. Hiba Abdul wahhab Mohammed

Asst. Prof. Ahmed Bashar Jumaah (Ph.D.)

Wasit University College of Education of Human Sciences

Email:
hebaalbaqer333@gmail.com

Keywords:

fear. Man. Literature. Ancient. Iraq

Article info

Article history:

Received 20.Febr.2023

Accepted 20.Apr.2023

Published 29.May.2023

man's fear for man in the literature of ancient Iraq

A B S T R A C T

The fear in this study (man's fear for man in the literature of ancient Iraq) was associated with love, which is the result of good and gentle human feelings. The fear here was limited to fear for others and the feeling of constant anxiety around them, as it was previously said that man has two feelings that are present by nature, namely (Love and Fear).

The fear here is a natural feeling, as it teaches us that it is natural and wise to be afraid and to be careful with those we love. Here, man has fallen under the influence of fears of loss associated with love.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol51.Iss1.2950

خوف الإنسان على الإنسان في أدب العراق القديم

الباحثة :هبة عبد الوهاب محمد باقر أ.م.د أحمد بشار جمعة

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة واسط

الخلاصة:

أنَّ الخوف في موضوعنا (خوف الإنسان على الإنسان في أدب العراق القديم) ارتبط بالحب. الحب الناتج عن مشاعر انسانية طيبة ورقيقة، فقد انحصر الخوف هنا بالخوف على الآخرين والشعور بالقلق الدائم حولهم إذ قيل في السابق إنّ لدى الإنسان أحساسين موجودين بالفطرة وهما (الحب والخوف). فالخوف هنا شعور طبيعي إذ يعلمنا انّه من الطبيعي ومن الحكمة أن نخاف وان نكون حذرين على من نحبهم. فقد وقع الإنسان هنا تحت تأثير مخاوف الخسارة المرتبطة بالحب.

الكلمات المفتاحية: خوف ، إنسان. أدب ، العراق ، القديم.

المقدمة:

عاش الإنسان، وهو كائن اجتماعي في الأساس، مع مجموعات وأشخاص آخرين منذ أن وطأت قدمه الخليقة. إذ لا يمكن لشخص أن يعيش حياته منطوياً على نفسه بدون أن يرتبط بعلاقة مع أهله وأقربائه وجيرانه او حتى مع أبناء قريته. إذ إنّ التلاحم والوحدة والتكاتف والألفة والمحبة والعلاقات الطيبة كانت قد عززت شعور الخوف لديه أي الخوف على أحبابه من أي شيء سواء كان الخوف من (المرض، الموت، الفراق او الشقاء ...الخ). وأن أدب العراق القديم غزير بالنصوص التي وضحت تلك المخاوف، مثل خوف الام على أبنها، وخوف الأب على أبنائه، وخوف الابن على والديه، وخوف الصديق على صديقه، وخوف الحاكم على شعبه، وخوف الشعب على حاكمهم.

وتأسيساً على ما تقدم تم اختيار موضوع بحثنا الموسوم (خوف الإنسان على الإنسان في أدب العراق القديم).

تكمن مشكلة البحث انه هل نظر الإنسان لمخاوفه الناتجة عن الخوف على أحبابه من الفراق والمرض والحزن على أنها قانون طبيعي وأنها سنة الحياة أم أنّه كان له تفسيراً آخر.

أما فرضية البحث ضل الإنسان حبيس هذا النوع من المخاوف إذ أنها أرتبطت بصورة فطرية بالمشاعر البشرية. فمخاوف الإنسان على الإنسان ذاته محكومة بما يحمل من مشاعر تنعكس بذاتها على صورة الخوف نفسه.

الخوف في النصوص الأدبية

لقد أوضحت احدى النصوص الادبية السومرية العائدة للبطل كلكامش بعنوان ملحمة كلكامش (وأرض الحياة)(طه، ١٩٧٦، ص١٢٨)، مدى خوف الإنسان على الإنسان سواء كان خوف الشعب على ملكهم او العكس خوف الملك على شعبه وخوف الأم على ابنها وخوف الصديق على صديقة. ففي هذه القصة قرر كلكامش العزم على القيام برحلة الى "أرض الحياة" وقتل حارس الغابة العفريت "خمبابا" برفقة صديقة انكيدو (علي، ٢٠٠٠، ص١٦١). فكان لابد لكلكامش أن يستأذن من شيوخ المدينة باعتبارهم أعلى سلطة في المملكة. لكنّهم لم يعطوه موافقتهم ويرفضون ذهابه خشية عليه من أخطار تلك المغامرة وخصوصاً ان تلك الغابة كان يحرسها الوحش خمبابا. كما في هذا النص:

"فاجاب شيوخ "اوروك"، ذات الاسواق، وقالوا لجلجامش

يا جلجامش انت حدث، وقد جاوزت المدى في شجاعة قلبك

وانت لا تعرف عاقبة ما انت مقدم عليه

اننا سمعنا عن "خمبابا" ان هيئته غريبة ومخيفة

فمن سيصمد ازاء اسلحته؟

والغابة تمتد عشرة الاف ساعة مضاعفة في كل الجهات

فمن ذا الذي يستطيع ان يوغل في داخلها؟

اما خمبابا فزمجرته مثل عباب الطوفان

وتنبعث من فمه شواظ النيران، ونفسه الموت الزؤام

فعلام رغبت في تحقيق هذا الامر؟

فلا أحد يستطيع الصمود ازاء خمبابا في موطنه" (طه، ١٩٦٢، ص٥٤).

يظهر من النص مدى خطورة هذه الرحلة على كلكامش، لكنّه رفض الانصياع لأوامر ورأي شيوخ المدينة وأصر على منازلة خمبابا (علي، ١٩٨٥، ص٤١). وهنا برز دور شيوخ المدينة ورجالها، اذ دفعهم حبهم وخوفهم على ملكهم تقديم بعض الارشادات والنصائح له (جمعة، ٢٠١٨، ص١٩٣). مثلما جاء في النص الاتي:

"الى [رصيف] أوروك [عد بالسلامة]،

لا تتكل، يا جلجامش، بالكامل على قوتك.

لتكن عيناك ثابتتان، اتكل على ضربتك.

ان من يسير في المقدمة ينقذ الرفيق،

ومن يعرف الدرب ينصر صديقه.

ليسر انكيدو أمامك،

فهو يعرف طريق غابة الارز،

انه واعٍ بالنزال وملم بالقتال

ان انكيدو ينصر الصديق، ويحفظ الرفيق،

ويتولى رعاية الزوجات.

في مجمعنا عهدنا الملك الى عنايتك،

فعد الينا واعهد الملك الى عنايتنا"(حنون، ٢٠٠٦، ص١١٣).

يتبين من النص أعلاه مدى خوف رجال المدينة وشيوخها على كلكامش من رحلته الى غابة الارز لهذا قاموا بإسداء النصح والمشورة له ومنها عدم الاستهانة والاستهزاء بالخصم المتمثل بخمبابا، وضرورة التعاون بينه وبين صديقة اذ يعتبر خير وسيلة من أجل تحقيق النصر(جمعة، ٢٠١٨، ص١٩٣). ويطلبون منه أن يجعل انكيدو في المقدمة دائماً والسبب في ذلك أنّ انكيدو ذو خبرة وتجربة عالية في القتال. فأن حوار الشيوخ هذا قد أعطانا رؤيا واضحة عن الجو النفسي لسكان مدينة أوروك ومخاوفهم الواضحة على شخص كلكامش. اذ كشف حوارهم انحيازهم الى ملكهم كلكامش ومحاولة شحن انكيدو بالكلام اللطيف ليس من أجل أن يكون قائداً للحملة فحسب وإنما للتضحية من أجل الملك لان الشيوخ يريدون عودة الملك منتصراً (المعموري، ٢٠١٤، ص٧٣).

بعد ذلك ينطلق كلكامش وانكيدو واختار لمرافقته خمسين شخصاً من الشباب العزاب ممن لم يكن لهم مهام عائلية (باقر، ١٩٧٦، ص١٢٨؛ علي، ٢٠٠٠، ص١٦١). كما موضح في النص:

"من كان منكم يملك بيتاً (فليعد) الى بيته.

ومن كان له أم فليعد الى أمه،

ليكن خمسون رجلاً أعزب يفعلون كما أفعل،

هم الذين يقفون الى جانبي،

ومن كان له بيت فقد عاد الى بيته

ومن كانت له أم فقد عاد الى أمه.

ووقف الى جانبه خمسون رجلاً اعزب

يفعلون كما يفعل"(كريمر، ١٩٥٩، ص٢٩٧).

عند تحليل النص نرى مدى خوف الحاكم على رعيته. فقد كان كلكامش حاكم مدينة الوركاء مسؤولاً عن سلامة وأمن المجتمع. لهذا نجد اصراره على أن يكون رفقاؤه في رحلته من العزاب أي الذين لم يكن لهم "بيت" او "أم" حسب تعبير النص السومري (علي، ٢٠٠٠، ص١٦١). لذلك كان اصرار كلكامش على ذلك الأمر مقصوداً لأن مصيره مجهول وانه لا يعرف ما ينتظره في الطريق الذي سار فيه، وبقراره هذا سيكون مطمئناً في حال حدوث اسوء الاحتمالات وهو في حال ان لم يعد هو ومن معه من رحلتهم فأن ذلك لم يسبب الأذى الى أسر جنوده في حال موتهم. فقد بين هذا النص العلاقات الوطيدة بين المجتمع والحاكم وخوف أحدهم على الآخر (جمعة، ٢٠١٨، ص١٩٤). والدليل الآخر على خوف كلكامش على شعبه هو في رحلته للبحث عن الخلود عندما حصل على نبته الخلود لم يسرع الى التهامها ولم يتبادر الى ذهنه احتكار الخلود لنفسه فقط اذ رفض تناول النبتة بمفرده وقرر الرجوع الى شعبه وقومه مصمماً بذلك على تكثير زراعة هذا النبات من خلال زراعته في بلاده واشراك شعبه في الحصول على الخلود (حسن، ٢٠١٨، ص١٣٤). كما جاء في هذا النص:

"ثم قال جلجامش ل "اور – شنابي" الملاح:

يا "اور–شنابي" ان هذا النبات نبات عجيب

يستطيع المرء ان يطيل به حياته

لاخذنه معي الى "اوروك"، الحمى والسور

واشرك معي (الناس) ليقطعوه ويأكلوه

وسيكون أسمه "يعود الشيخ الى صباه كالشباب"

وانا سآكله في اخر ايامي حتى يعود شبابي" (باقر، ١٩٦٢، ص١٠٣).

والدليل الاخر على خوف كلكامش على شعبه هو ما قام به قبل رحلته الى غابة الارز بإعطاء التوجيهات الخاصة من أجل تسيير شؤون الحكم في أوروك طول مدة غيابة. ومن هذه التوجيهات ما جاء في النص:

"[في أيام ذهابنا] وعودتنا،

[حتى نصل الى غابة] الأرز

[حتى] ننحر [خمبابا المتوحش]،

[ونمحو] من [البلاد كل الشر الذي يزدريه شمش]،

[العسكر] يجب ان لا يجمعوا الشبان من الشارع،

احكموا في قضية الضعيف..." (حنون، ٢٠٠٦، ص١٢٠).

يتضح من النص أعلاه مدى حرص كلكامش على شعبه اذ يأمر الضباط بأن لا يسمحوا للشباب بالتجمع في الشارع ومضايقة السكان، وأن يكون القضاء دوماً مناصراً للضعيف.

بعد أن جمع كلكامش جنوده ذهب هو وانكيدو الى أمه الآلهة "ننسون" (ادزارد، ص١٧٢). لكي يطلعها على قرار رحلته، فأنّه على الرغم من الصفات الخارقة التي أتصف بها كلكامش إلا انّه في نهاية الأمر انسان، تظهر انسانيته حين يقدم على أمر كبير محفوف بالمخاطر فيتملكه شعور الخوف والقلق، وهو شعور طبيعي لأي انسان في حاجته الى الأمان والحنان لذلك نجد كلكامش يلجأ إلى اقرب الناس إليه وهي أمه ويطلب منها أن تتشفع له عند الإله "شمش" وأن تصلي من أجله. فقامت ننسون بمجموعة من الطقوس يمكن أن نرى من خلالها مدى خوفها على ابنها كلكامش كما موضح في النص:

"[البقرة الوحشية] الالهة ننسون استمعت بحزن

لكلام جلجامش، ابنها، وأنكيدو

دخلت الى الحمام سبع مرات،

[استحمت] بماء السدر والغار،

[لبست] ما يناسب جسدها (حنون، ٢٠٠٦، ص١١٤) ،

[وضعت] ما يناسب صدرها،

[...] معتمرة تاجها.

[...] تعفرن بالتراب.

ارتفعت السلم وصعدت الى السطح،

صعدت أمام الاله شمش، مبخرة وضعت،

وضعت مبخرة أمام الاله شمش، رفعت يديها (قائلة):

لماذا جعلت لأبني جلجامش قلباً فرضت عليه ان لا يستكين.

والان مسسته وسيسلك

مسلكاً بعيداً حيث موضع خمبابا.

سيواجه القتال الذي لا يعرف،

سيركب الركب الذي لا يعرف،

حتى يوم يذهب و(يوم) يعود،

حتى يصل الى غابة الأرز،

حتى ينحر خمبابا المتوحش،

ويفني كل الشر الذي تزدريه في البلاد.

في كل يوم، [حين تكمل] دورة [الارض]،

عسى الالهة ايه العروس، التي لا تخافك، ان تنبهك:

اعهد به الى عناية حراس الليل" (حنون، ٢٠٠٦، ص١١٥).

بعد ذلك تستطرد ننسون بالتضرع الى الإله شمش كي يحمي كلكامش طوال فترة رحلته الخطيرة ويعينه في قتالة مع خمبابا، وتناشد الآلهة "ايه" زوجة الإله شمش بأن تذكر زوجها بحماية كلكامش، ثم تطلب من الآلهة الآخرين حماية كلكامش ثم تعود مرة أخرى بالدعاء الى شمش قائلة:

"مرة ثانية قدمت البقرة الوحشية ننسون رجاءها أمام الاله شمش:

أيها الاله شمش، الا [...] جلجامش الالهة؟

الا يشاركك في السموات؟

ألا يشارك الاله سين في الصولجان والتاج؟

ألا يزداد حكمة مع الاله أيا في مياه العمق؟

ألا يحكم مع الالهة ارنيبني سود الرؤوس؟

ألا يقيم مع الاله ننجشزيدا في ارض اللاعودة؟

لأجعلنه، أيها الاله شمش [...]،

مخافة أنه ...، مخافة أنه ... في غابة الأرز" (حنون، ٢٠٠٦، ص١١٧).

يتضح من النص الدور الذي أدته الاله ننسون دور الام فأن كل ما فعلته وكل ما قالته ننسون لا يخلو من الخوف والقلق الظاهرين على ولدها كلكامش. فالخوف والقلق هنا يرتبط بغريزة الأمومة أي ان خوف الأم على أبنائها يحدث بالفطرة فكل أم هي قلقة بالفطرة على أبنائها. فلم تكتف ننسون بدعواتها المليئة بالخوف على ابنها كلكامش، ولكنّها استدعت كاهنات المعبد ليكن شهوداً على دعوتها لانكيدو واخذ وعد منه بأنه سيحمي ولدها في رحلتهم تلك بأسلوب أقرب الى التوسل والالتماس منه الى الأمر والطلب (الجوراني، ٢٠٠٣، ص٤٣). كما في هذا النص:

"أخمدت المبخرة ونزلت [من السطح]،

نادت أنكيدو وقدمت مشورة:

يا أنكيدو القوي، لست طالعاً من عورتي أنت،

ولكن نسلك الان [يتساوى]

مع من ينذرهم جلجامش(للمعبد)

(من) الكاهنات، النساء القديسات [و] المشاعات.

علقت حرزاً خشبياً على عنق أنكيدو (وهي تقول:)

ها أنني ائتمنتك على ولدي، فأرجعه ألي سالماً" (حنون، ٢٠٠٦، ص١١٨).

ففي كلام ننسون هنا كان التوسل واضحاً الى حد اذلال النفس محاولة منها في الحصول على تطمينات من انكيدو الذي اعتبرته ابناً لها وان كانت لم تلده. لذا يتوجب عليه مناصرة وحماية صديقه الملك من خلال قوته وخبرته في معرفة الطريق وقدرته على تأويل الأحلام ايضاً (المعموري، ٢٠١٤، ص٧٢). فقد عكست علاقة كلكامش بأمه صورة الأمومة في المجتمع العراقي القديم. إذ صورت لنا الملحمة انّه لا قيمة للإنسان الوحيد، لأن الإنسان الكامل هو الاجتماعي والصديق والمتعاون والخائف على غيره من أجل دفع الاذى عن الآخرين وتحقيق السعادة للجميع (حبي، ١٩٨٠، ص١٠٤).

وهناك نص آخر يبين مدى خوف وقلق الأم على ابنها حين يغيب عنها إذ كان سبب غيابه هو السفر. فأن مؤلف هذا النص هو (لودينجيرا) (الشواف، ٢٠٠١، ص١١٩)، الابن الذي غادر مدينة نفر في سفرة طويلة له وأراد بعد ذلك أن يطمئن أمه وينقل لها سلامه، فحمل رسالته الى شخص ملكي عائد الى مدينة نفر وهو يصف له قلق أمه اذ يقول:

"أيها الرسول الملكي، الدائم الترحال على الطرق،

أود توجيهك الى نفر، لإيداع هذه الرسالة.

قمت بسفرة طويلة

وقلقة هي أمي (؟) لا تستطيع النوم،

وهي في غرفتها التي لم تشهد قط

لفظ كلمة مريرة،

لا تكف عن سؤال جميع المسافرين

عن أخبار حول صحتي.

ضع بين يديها رسالتي هذه

(بين يدي) أمي التي سوف تبتهج

وتلبس زينتها من أجلك" (الشواف، ٢٠٠١، ص١١٩-١٢٠).

فهذا النص يشرح مدى قلق الأم على ابنها في حال غيابه عن انظارها إذ فقدت النوم بسبب غيابه. وها هي الأم في كل مكان وزمان لا تستطيع أن تتخلى عن فطرتها وهي حبها وخوفها وقلقها الأبدي على أبنائها في كل الظروف والحالات. وقد بين هذا النص أيضاً خوف الابن على والديه لاسيما أمه فهو قلق عليها وتصور حالتها بهذا الصورة (لا تستطيع النوم) فقام بإرسال الرسالة اليها لتطمينها عليه. ومن النصوص التي وصلت الينا عن خوف الابن عن والده هو ما جاء في مرثية سومرية لرجل يرثي والده. كما جاء في هذا النص:

"عسى أن يجعلوك مرتاح البال،

أيا "نانا" عسى أن تسعد روحك (؟) وعسى أن يرتاح قلبك" (كريمر، ٢٠١٢، ص٣٠٤).

إذ أنَّ خوف الابن واضح على أبيه في هذا النص فهو يطلب من الآلهة أن يرأفا بحال أبيه حين يحين الحساب في العالم الاسفل.

ولدينا نصوص عكست خوف الأب على ولده، فقد أدرك العراقيون القدماء أنَّ للتربية الصحيحة في سن مبكر أهمية كبيرة بالنسبة للأبناء لأنّ الطفل في مراحله المبكرة يسهل السيطرة عليه وعلى تصرفاته وتوجيهه بصورة صحيحة قدر الامكان أما إذا بلغ واشتد عوده يصعب السيطرة عليه ولا ينفع بعد ذلك الندم (كاظم، ٢٠١٧، ص٥٤٦). ويوضح النص الاتي هذا:

"يا بُنيّ، اخضع ابنك وهو بعد طفل قبل أن يفوتك قوة وشدة، فيتمرد عليك وتخجل من كل اعمال السوء التي يعملها" (فريحة، ١٩٦٢، ص٧٣).

وقد كان لحب الآباء لأبنائهم وخوفهم عليهم والاهتمام بشؤونهم كانوا قد حرصوا على متابعة كل كبيرة وصغيرة تخصهم كما في هذا النص:

"لن أكون رجل اذا لم اراقب ابني" (كاظم، ٢٠١٧، ص٥٤٦).

وقد كان الآباء يحرصون على تربية أبنائهم تربية دينية صحيحة تحثهم على الصلاة ومخافة الآلهة اذ نجد هذا واضحاً في صلاة الملك البابلي نبونائيد الموجهة الى إله القمر طالباً العطف به وبولده خوفاً عليه. كما جاء في هذا النص:

"بالنسبة الى ولدي بل- سكار- اتسور

ولدي البكر الذي خرج من قلبي، ضع مخافة الوهيتك الجليلة

في قلبه فلا يرتكب الخطيئة وليشبع من متع الحياة!" (شمار، ١٩٨١، ص٢٣٤).

ومن صور خوف الانسان على الانسان هو خوف الصديق على صديقة. فقد ضرب لنا كلكامش وانكيدو أروع أمثلة الصداقة في التاريخ ممكن أن نقتدي بها، إذ نجد في الملحمة أنّ انكيدو لم يود السفر الى غابة الأرز بسبب خوفه من عواقب تلك المغامرة وخوفه كذلك على صديقة كلكامش ولكنّ اصرار كلكامش عليه اضطره في نهاية الأمر الى قبول المغامرة معه إذ نجد انكيدو يقول:

"يا صديقي أشعر بأن الخوف قد شلّ قواي،

لقد فقدت ساعداي القوة.

فعلامَ عزمت على تحقيق هذا الأمر؟"

وفي نص آخر يعود انكيدو محاولة منه لإرجاع كلكامش عن عزمه فيقول:

"[فتح] أنكيدو فاه [ليتكلم]،

يقول [لجلجامش]:

يا صديقي، عد [... ...]

لا [تواصل] الذهاب [... ...]" (حنون، ٢٠٠٦، ص١٢١).

يتضح من النص محاولة انكيدو لثني كلكامش عن عزمه للقيام برحلته تلك المحفوفة بالمخاطر فهي رحلة يفزع لها قلب الصنديد انكيدو مجرد أن يسمع بها ولكنّه يجد كلكامش مصراً على رأيه وغير مستعد للتراجع فيقوم بالذهاب معه حباً له وخوفاً عليه. فيقوم انكيدو بتغيير كلامه ويشجعه على ذلك بقوله:

"فتح أنكيدو فاه ليكلم جلجامش:

كما رغبت قم برحلتك،

لا يخف قلبك، أبق متطلعاً ألي" (حنون، ٢٠٠٦، ص١٢١).

وحين مات انكيدو رفض كلكامش دفنه خوفاً من الفراق وخوفاً عليه من المصير المجهول الذي ينتظره في العالم الاسفل (عالم اللاعودة) إذ يقول لسيدوري صاحبة الحانة:

"أنكيدو، صديقي، الذي أحبه بقوة ومعي خاض كل الصعاب،

غلبه قدر البشر.

ستة أيام وسبع ليال بكيت عليه،

لم أعطه للقبر،

حتى سقطت دودة من أنفه" (حنون، ٢٠٠٦، ص٢٠٣).

وهناك نص آخر يبين خوف الصديق على صديقة وهو ما جاء في قصيدة "العدل الالهي" (علي، ٢٠٠٠، ١٩٠). وهي عبارة عن حوار طويل بين صديقين بين رجل مكتئب كثرت أحزانه وهمومه وبين صديقه الحكيم الذي يحاول أن يواسيه ويخف من أحزانه لإنقاذه من حالة اليأس والقنوط التي يعيشها (رميض، ٢٠٠٠، ص١٩١). إذ يبدأ الرجل المعذب حواره مع صديقه عن الهموم التي أصابته وعن الضعف والهزال الذي أصاب جسده، وكيف أنّ الدنيا قد أسودت في عينيه

وانّه لا يرى أملاً في التخلص من الشقاء والحزن الذي اصابه (علي، ٢٠٠٠، ص٢٤٨). فلنأخذ مثالاً من الحوار الذي دار بينهم:

"المعذب:

أين الناصح الذي أقص عليه عذابي؟

أراني قد انتهى أمري وتسلط علي الشقاء

فعندما كنت صغيراً اختطف القدر أبي

وذهبت أمي التي ولدتني الى أرض اللارجعة

لقد تركني أمي وأبي دون من يتكفل رعايتي (باقر، ١٩٧٦، ص١٥٢).

الصديق:

يا صديقي المعذب، ان ما تقوله يبعث على الحزن والكآبة

أراك وجهت فكرك الى الشر يا صديقي العزيز

حتى انقلب فهمك الدقيق للأمور كفهم المعتوه

وجعلت من بشاشة وجهك عبوساً

لقد سلم اباؤنا لمصيرهم المحتوم وساروا في طريق الموت

وكما قيل منذ القدم أنهم يعبرون نهر خبر (Hubur)

وعندما تنظر الى الناس بشكل عام ...

ان من يقوم على خدمة الالهة يكون له ملاك يحميه

وان الانسان المتواضع الذي يخشى الهته يحظى بثروة طائلة (علي، ٢٠٠٠٢٤٩).

وهكذا يستمر الحوار بين الاثنين إذ يطرح الاول في كل مرة جانباً من المعاناة التي كان يعيشها ويجيبه الثاني بكل فطنة وبراعة وذلك في قدرته على الاتيان بحجة وإنْ بدت غير مقنعة لصديقه المعذب وذلك محاولة منه أن يتشبث صديقة بالقيم الاجتماعية الفاضلة والتعاليم الدينية (رميض، ٢٠٠٠، ص١٩٢).

بعد ذلك يطلب الصديق من صديقه أن يساعده وذلك بقوله:

"انك لرجل رحيم يا صديقي، أنظر الى احزاني

ساعدني! تفحص علتي وأعرفها!

أنني رجل متواضع، عاقل، متضرع

لكنني لم أجد مساعدة أو عوناً في يوم ما...

فليمدني الاله الذي خذلني بالعون

ولترني الالهة التي خذلتني الرحمة (علي، ٢٠٠٠، ص٢٥٣).

وهنا يأتي دور الصديق الذي طالما وجدناه في النصوص العراقية القديمة بشخصية المنقذ والمخلص، اذ نراه هنا يلعب دوراً مهماً في مواساة صديقة للتقليل من بؤسه وخوفاً عليه من نظرته السوداوية تجاه كل شيء وبالأخص تجاه الآلهة

إذ وصل به الأمر الى مرحلة التشكك والكفر بالآلهة. فيحاول الصديق هنا بضرورة اقناع المعذب باستسلامه الى مقدرات الآلهة وضرورة اعترافه بأن نجاته وخلاصة مرهون بإرادتها ليس غير.

كذلك بينت النصوص الأدبية نوعاً آخر من خوف الإنسان متمثلاً بخوف الصديق من صديقة وهذه الصورة من الخوف مغايرة تماماً لحالات الخوف الأخرى التي ذكرناها سابقاً؛ فقد أثبتت النصوص المسمارية ان العراقيين القدماء كانوا يهتمون بمسألة اختيار الصديق وكانوا يقدرون الصداقة تقديراً كبيراً (كريمر، ١٩٥٩، ص٢٢٢). اذ كانوا يركزون في مسألة اختيار الصديق بالنسبة لأبنائهم خوفاً عليهم ومحاولين ابعادهم قدر الامكان عن أصدقاء السوء(علي، ٢٠٠٦، ص١٦٠). ولأنّ شخصية الانسان ونوعية سلوكه تحدد من زملائه وأصدقائه فقد أعار العراقي القديم اهتماماً كبيراً بهذا الموضوع. وان الأمثال باعتبارها على تماس مباشر بحياة الفرد وحصيلة تجارب الافراد اليومية انعكست عليها مثل تلك الامور ففي أحد الامثال السومرية نجد ذلك الاهتمام واضحاً كما واضح في المثل التالي (الفؤادي، ١٩٧٤، ص٣٤):

"**من يصاحب الشخص البارز، يعرف كشخص بارز.**

ومن يصاحب الشخص الذكي، يعرف كشخص ذكي!" (رميض، ٢٠٠٠، ص٩٩).

وهنا اشارة واضحة الى ضرورة التمهل والتركيز في اختيار الصديق.

وإنّ صديق السوء من الممكن أن يستغل ثقة صديقه الطيب فيقوم بأيذائه. فقد صورت لنا احدى النصوص البابلية حالة الخداع والحيلة من قبل الاصدقاء إذ نقرأ:

"لقد دفعوا بي الى تحت الماء وخاطرت بحياتي

فلم اصطد سمكاً وفقدت ملابسي" (الفؤادي، ١٩٧٤، ص٤٤).

يتبين من النص أنّ اصدقاء السوء كانوا قد دفعوا بصديقهم الى النهر من أجل الحصول على السمك فلم يجن من ذلك نفعاً بل انه فقد ملابسه وربما كانت تلك حيلة من اجل الاستحواذ على ملابس صديقهم الطيب (رميض، ٢٠٠٠، ص١١١).

الاستنتاجات

١- أودع في قلب كل أب وأم حب أبنائهم والخوف عليهم من التعرض لأي أخطار تواجههم، إذ فطرت القلوب على الخوف المرتبط بالحب ارتباطاً وثيقاً، فالأم كانت ولا زالت كائن رقيق يمتلئ قلبها خوفاً على ابنائها وخوفها عليهم لا يبدده سوى رفع اليدين بالدعاء لهم وهذا ما حدث فعلاً مع أم كلكامش عندما شعرت بوجود خطر على أبنها تسارعت في الصعود الى أعلى مكان بالمنزل وتوجهت بالدعاء والتضرع الى الآلهة لكي تحمي أبنها من مخاطر السفر. وبذلك أصبح الخوف هنا سلوكاً غريزياً جبلياً غير مكتسب في الآباء والأمهات.

٢- كان للآباء ولا زال قلق وخوف ظاهرين على أبنائهم محاولين تربيتهم تربية صحيحة قائمة على خشية الآلهة ومخافتها، وكذلك محاولتهم في أبعاد أبنائهم عن رفقاء السوء والتمسك بقيم المجتمع.

٣- لقد أوضحت بعض النصوص الأدبية مدى خوف الحاكم على رعيته. فقد كان كلكامش حاكم مدينة الوركاء مسؤولاً عن سلامة وأمن المجتمع. لهذا نجد اصراره على أن يكون رفقاؤه في رحلته إلى غابة الأرز من العزاب أي الذين لم يكن لهم "بيت" او "أم"، وفي المقابل نجد في الملحمة مدى خوف الشعب على حاكمهم وحبهم له.

٤- ليس بالضرورة أن يكون كل شخص نعيش معه أن يكون صديقاً، إذ لابد للصديق أن يتصف بمبدأ الصدق وتقدير صديقه والخوف عليه وهذا ما حدث فعلاً في صداقة انكيدو وكلكامش وقصيدة المعذب البابلي أذ ضربوا لنا أروع الأمثال في خوف الصديق على صديقه.

قائمة المصادر والمراجع:

١- ادزارد، د، قاموس الآلهة والاساطير، تعريب، محمد وحيد خياطة، (بيروت، دار الشروق العربي).

٢- باقر، طه، (١٩٧٦)، مقدمة في أدب العراق القديم، (بغداد، دار الحرية للطباعة).

٣- باقر، طه، (١٩٦٢)، ملحمة كلكامش، أوديسة العراق الخالدة، (بغداد، مديرية الفنون والثقافة الشعبية، وزارة الارشاد).

٤- الجبوري، صلاح سلمان رميض، (٢٠٠٠)، أدب الحكمة في وادي الرافدين، مراجعة، فاضل عبد الواحد علي، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، افاق عربية).

٥- جمعة، أحمد بشار، (٢٠١٧)، الخوف في النص السومري (جلجامش وارض الحياء)، مجلة جامعة واسط كلية التربية قسم التاريخ ، المجلد ٢، العدد ٢٥.

٦- الجوراني، وداد، (٢٠٠٣)، البنية الاجتماعية والثقافية للمرأة في ملحمة جلجامش، مجلة الآداب الاجنبية، العدد ١١ .

٧- حبي، يوسف، (١٩٨٠)، الانسان في أدب وادي الرافدين، (بغداد، منشورات دار الجاحظ).

٨- حنون، نائل، (٢٠٠٦)، ملحمة جلجامش ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الاكدي، (دمشق، دار الخريف للنشر والتوزيع).

٩- حسن، حامد سرمك، (٢٠١٨)، ملحمة كلكامش: دراسة في القضايا والأصول، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد٥١.

١٠- شمار، جورج بوبيه، (١٩٨١)، المسؤولية الجزائية في الآداب الاشورية والبابلية، ترجمة، سليم الصويص، (بغداد، دار الرشيد للنشر).

١١- الشواف، قاسم، (٢٠٠١)، ديوان الاساطير، ج٤، الموت والبعث والحياة الابدية، (بغداد، دار الساقي).

١٢- علي، فاضل عبد الواحد، (٢٠٠٠)، سومر أسطورة وملحمة، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة "افاق عربية").

١٣- علي، فاضل عبد الواحد، (١٩٨٥)، ملحمة جلجامش، مجلة عالم الفكر، مجلد١٦، العدد١.

١٤- علي، هاشم علي، (٢٠٠٦)، البنية الاجتماعية في العراق القديم من عصر فجر السلالات وحتى نهاية العصر البابلي القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة بغداد، العراق.

١٥- فريحة، انيس، (١٩٦٢)، احيقار حكيم من الشرق الادنى القديم، (بيروت).

١٦- الفؤادي، عبد الهادي، (١٩٧٤)، بحث في الامثال العراقية، دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقي القديم والمعاصر، مجلة سومر، مجلد ٣٠.

١٧- كريمر، صموئيل نوح، (٢٠١٢)، السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة، فيصل الوائلي، (بيروت، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع).

١٨- كريمر، صموئيل نوح، (١٩٥٩)، من الواح سومر، ترجمة، طه باقر، تقديم ومراجعة، احمد فخري، (شيكاغو، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر).

١٩- كاظم، سناء عويد، (٢٠١٧)، بر الوالدين وعقوقهما في حضارة العراق القديم، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد ٢٥.

٢٠- المعموري، (٢٠١٤)، ناجح، المسكوت عنه في ملحمة جلجامش، (بغداد، دار المدى للأعلام والثقافة والفنون).